دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	فرح انطون : اسطورة الرومانسى الاشتراكى تتحقق
المصدر:	أدب ونقد
الناشر:	حزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي
المؤلف الرئيسي:	السعيد، رفعت
المجلد/العدد:	مج 7, ع 58
محكمة:	لا
التاريخ الميلادي:	1990
الشهر:	يونيو
الصفحات:	14 - 39
رقم MD:	311944
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	AraBase
مواضيع:	مصر ، انطون ، فرح ، الكتاب اللبنانيون ، التراجم ، الصحافة ، الحركات الوطنية ، صحيفة الاهالى ، الرواية العربية ، الفلسفة، حرية العقيدة ، الاشتراكية ، الراسمالية
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/311944

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

دراسة

فرح أنطون:

اسطورة الرومانسى الاشتراكى تتحقق

د. رفعت السعيد

* فليحذر العالم من يوم يصير فيه الضعفاء أقوياء، والأقوياء ضعفاء.

* لاتقل هاتوا زعيما صادقا، بل قل هاتوا شعبا راقيا وأنا كفيل بزعيم حر من بين الحقول وأكواخ الفقراء.

* ان نشر المبادىء الاشتراكية وحده لايكفى لتأييد الاشتراكية، بل لابد من تحريض أنصارها على تنفيذها بالقوة، ولابد من غرس فكرة التحريض فى الناشئة الجديدة والا بقيت الاشتراكية فلسفة نظرية فقط الى ماشاء الله.

«فرح أنطون»

1- بطاقة شخصية مطولة

الاسم: فرح أنطون

تاريخ الميلاد: ١٨٧٤

محل الميلاد: طرابلس (لبنان)

مهنة الأب: تاجر أخشاب.

الصناعة: تخرج من مدرسة كفتين، ثم اشتغل مع أبيه فى تجارته، ثم استقل بتجارة خاصة به لكنه مالبث أن ترك التجارة «لأنها لاتتفق مع ذوقه، ولأن الأخلاق اللازمة للتجارة ليست فيه، ولأن نفسه كانت نازعة الى الأعمال العقلية «(١)

وبعدها تولى ادارة مدرسة أهلية فريدة من نوعها فى طرابلس، فالمدرسة أنشاتها جمعية خيرية للروم الارثوذكس، لكنها لم تكن طائفية، بل على العكس من ذلك فقد حرصت ادارتها على نبذ الطائفية وانعكس ذلك ليس على تلاميذها فحسب، بل وعلى ادارتها فرئيس المدرسة كان بروتستنتيا والمدير والناظر مارونيين وأستاذ اللغة العربية مسلما ولم يكن بها الا مدرس أرثوذكسى واحد. وقد تركت هذه التجربة الرائعة أثرا لايحى فى نفس فرح أنطون، فقد تعلم منها رفض التعصب الطائفى أو الدينى أو المذهبى.. ويكتب فرح فيما بعد «أن هذه المدرسة قد تركت أثرا أدبيا لم يبرح نفسى قط، ولعله كان ذا تأثير على أفكارى فى كل حياتى «(٢)

– وأسس فى طرابلس جمعية أدبية.. «ثم استقر رأيه فى النهاية على أن يتخذ صناعة القلم حرفة شريفة وهو يعتقد أنها خير ذريعة لخدمة الشرق، ويظن أن صرير القلم خير صارخ فى الآذان لايقاظ أهل الأوطان الشرقية.. وكان يعتقد أنه مجند من المجندين لهذه الخدمة «(٣)

– فى عام ١٨٩٧ جاء الى مصر، ليبدأ معركته الحقيقية من أرضها فقد كان يعتقد «أن مصر هى المركز الأوسط لجميع العالم العربى، ومنه تنتشر الخدمة الوطنية الأدبية انتشار الأشعة الى جميع الجهات»

وعلى الفور بدأ فى الكتابة بالصحف، لكنه كان ينشر مقالاته بأسماء مستعارة، ولهذا تعذرت متابعتها، لكنه من المعلوم أنه كتب عدة مقالات فى جريدة الاهرام بتوقيع «سلامة».

– فى عام ١٨٩٩ أصدر مجلة «الجامعة» وهى واحدة من أشهر وأعمق المجلات ذات الطابع الموسوعى التى شهدتها مصر عبر تاريخها الحديث، وقد أسماها فى البداية «الجامعة العثمانية«..» ودعا على صفحاتها كل شعوب الشرق التى تحكمها الدولة العثمانية للعمل المشترك ضد الغرب الاستعمارى لكنه كان يروج أيضا فوق صفحاتها علوم الغرب وكثيرا مما يتردد فيه من آراء ومذاهب– فكان فرح شرقيا يكره أوربا، لكنه يحب الكثير من عقائد الغرب الاجتماعية «(٤)

وكانت مجلة الجامعة واحدة من أكثر المجلات المصرية عمقا، وسعة أفق، وإنفتاحا على كل ماهو جديد فى مجال العلم والمعرفة.. «ولقى الادباء والمفكرون فى هذه المجلة الطريفة مغنى ومرتعا، تجلى لهم فيها الابتكار فى موشى أثوابه، ولقد ثقل ردنها بالفوائد، وأوعيت صفحاتها الجلائل بالطرف وشهد الثمرات، بحيث ارتفعت فى أعداد معدودات الى مرتبة أقدم المجلات العربية وأوسعها وأذيعها، ثم نمت وأوفرت، بحيث صارت شغل المفكرين ورأيهم، وسوق عكاظ لرجالات العلم والحكمة فيها، يتساجلون ويتنافرون «(٥)

ويتحدث صحفى آخر عن مجلة الجامعة قائلا «أنها كانت مجلة أصحاب المبادىء الجديدة، والذين حرروا عقولهم من القديم، وكان صاحبها يحاول بها تحرير العقول الشرقية، والمذاهب الاجتماعية من ربقة الماضى، ففاز بعد نضال كبير، وأوجد حزبا كبيرا يناصره، وهو حزب العصر الجديد، عصر الانطلاق والافلات من كل قيد، الا مايأمر به العقل والاكتشاف «(٦)

– وعندما انتقلت جريدة الأهرام من الاسكندرية الى القاهرة طلب منه المرحوم تقلا باشا أن يتولى تحرير النسخة الاسكندرية من الأهرام والتى كانت تسمى «صدى الأهرام» وسرعان ما أصبح

«الصدى» أكبر أهمية، وأكثر ذيوعا من الأصل.. ويروى صحفى آخر ماحدث فيقول:

«حرر فرح صدى الأهرام فى الاسكندرية حتى كاد الصدى يتغلب على الصوت فى القاهرة فانتزعه منه من يملك الاثنين معا» (٧)

- أصدرت شقيقته روز أنطون التى أصبحت زوجة للمفكر نقولا حداد مجلة «السيدات» وكان فرح يعاونها فى تحريرها.

- وفى عام ١٩٠٧ اقترح عليه ابن عمه الياس أنطون التاجر فى نيويورك أن يرحل الى أمريكا وأن يمارس نشاطه الصحفى هناك باعتبار أن المغتربين هناك حقل واسع لبث مبادىء الحرية..

وهكذا سافر الثالوث «فرح- روز- نقولا» الى أمريكا ليواجهوا معركة جديدة وأصدروا هناك «الجامعة» نسخة شهرية وأخرى أسبوعية وثالثة يومية لكنها سرعان ماتوقفت لأسباب مالية.

- وفى أمريكا تبنى وبشكل حماسى فكرة اشتغال المغتربين الشوام بالزراعة، وانشغل فى جمع توقيعات على عرائض تطالب الحكومة الأمريكية بمنحهم الأراضى بشروط ميسرة.

- وقد تأثر فرح أنطون وبقية الثلاثى الى حد كبير بأفكار الاشتراكيين الأمريكيين ومنهم أوجين دبس، وهنرى جورج.. الخ

- وعندما وقع الانقلاب العثمانى.. عجل الثلاثى بالعودة الى مصر، فهاهو الشرق يتحرك ولابد أن يواكبوا حركته. وفى طريق العودة التقى فرح أنطون بمحمد فريد فى باريس واتفق معه أن يشارك فور عودته الى مصر فى تحرير صحف الحزب الوطنى.

- حرر فرح أنطون العديد من الصحف واشتهر بأنه الصحفى الذى تسبب فى اغلاق أكبر عدد من الصحف بسبب حدة مقالاته.

- كان آخر ما أصدره من صحف هو «الأهالى» وقد صدر منها عددان فقط وصودر العدد الثالث.. وتوفى بعدها فرح أنطون.

والآن.. هل تستطيع أن نقترب أكثر من هذا الرومانسى الاشتراكى؟

ب- فرح انطون: الكاتب والصحفى:

قلنا أن فرح أنطون حرر العديد من الصحف.. «الجامعة» «البلاغ المصرى»، «اللواء»، «مصر الفتاة»، «مصر»، «الوطن»، «الأهالى»، «صدى الأهرام»، «المحروسة»، «السيدات».

ويعلق لطفى جمعه على كتاباته الصحفية قائلا «.. وفى كل جريدة من تلك الجرائد كنت تدافع عن الحق وعن الوطن، أى عن مصر التى عددتها لنفسك ولأهلك وطنا ثانيا، ولم يتحول مذهبك يوما، ولم يتغير رأيك ساعة، كنت تكتب باعتقاد واخلاص، وتنصر الحق أيا كان، فانتصرت لنا، ولمبادئنا الوطنية فى أحرج موافقنا، وانتصرت للعمال فى أحزانهم وانتصرت للشعب على السلطة، وللحق على القوة، وللمحكومين على الحاكم المستبد وفى الوقت الذى كان فيه كثيرون من النزلأ الشرقيين يستبيحون كل منكر ضد مصر والمصريين، كنت أنت ونفر قليل من

جمال الدين الافغانى

قاسم أمين

الرجال المباركين تعرفون لمصر جميلها وتأخذون بيدها فى شدتها، وهذا جميل نذكره لك ولاننساه » (٨)

وكانت مقالات فرح أنطون ملتهبة دوما بحيث كانت الواحده منها كافيه لانذار الصحيفة أو اغلاقها فورا.. وكان الكتاب فى عهده يتندرون بذلك ويسجلون حكايات عديدة عن مقالاته ودورها فى اغلاق الصحف..

وثمة قصة عن مقال وحيد.. أقفل جريدة «مرض رئيس تحرير مصر الفتاة توحيد بك السلحدار، وكان فرح أنطون يومئذ يحرر فى اللواء، فناب مناب توحيد بك للصداقة التى بينهما فكتب مقالته المأثورة، ولكنها للأسف كانت سببا فى اغلاق وزارة سعيد باشا لهذه الصحيفة بغير سابق انذار، وهو اغلاق لم تبعث بعده الى اليوم.(٩)

وكان فرح يوقع الكثير من مقالاته باسم مستعار بأمل ألا يستثير السلطة ضد الجريدة، أو يوقعها بالحرف الأول «ف.أ) أو بالحرفين الأولين «فران»

.. «وقد روى الأستاذ عبد القادر حمزة أن السلطة العسكرية شددت على المحروسة الوطأة وكانت منذره بالاغلاق، فاتفقنا أن نرجح كفة السياسة الخارجية على كفة السياسة الداخلية حتى تهدأ العاصفة.. فكلمت فرحا فى ذلك فلم يتمالك أن امتعض(١٠)

ويفسر نقولا حداد هذا الحماس الدافق قائلا «بهذه الروح عاد فرح من أمريكا الى مصر، فاذا بالشعب المصرى قد انتقل من دور العلم الى دور العمل، ووجد أن الزرع الذى زرعه فقيد الوطن مصطفى باشا كامل وأنصاره قد نضج وأن وقت الحصاد قد حان. وجد أن النهضة الوطنية التى كانت تختمر فى السنين الماضية قد تحركت فصادفت هوى فى نفسه وأى هوى، رأى أن فكرة «التنفيذ» التى نضجت فى نفسه قد نضجت أيضا فى هذا الوطن الذى أصبح محور النهضة الشرقية كلها.. فانصرف عن النظريات الفلسفية الى العمل، وتحول من العلم الى السياسة. واتفق فى ذلك الحين أن انتدب للتحرير فى بعض الصحف اليومية فوجدها ميدانا أوسع لجولات قلمه فترك الجامعة (وهذا هو السر فى أنه أغلق الجامعة التى كانت متخصصة فى الابحاث الفلسفية

والعلمية كى يتفرغ ليصب نيران غضبه فى مقالات سياسية- المؤلف). وتنقل بين العديد من الصحف فكان لكتاباته تأثير شهير فى نفوس الجمهور، تأثير يعرفه جيدا أصحاب تلك الجرائد حتى حسبت السلطة له حسابه وأى حساب»

ويواصل نقولا حداد حديثه قائلا أن أحد الموظفين المقربين من سلطات الاحتلال قال له «أن نسيبك (أى فرح انطون) متهور فى كتاباته بشأن الحركة الوطنية، فأخشى أن يفضى تهوره إلى نفيه كما نفى أصحاب البلاغ المصرى، فحبذا أن تنصح له أن يعتدل»

.. «ثم مالبث هذا الموظف أن استدعى فرح أنطون والانذار هذا النذارفرد عليه قائلا «أتأسف أن أقول لك أننى لست أحترف القلم لكى استرزق منه فقط، بل احترفه لأكتب ماتقرأه فاذا لم يؤذن لى أن أكتب مايوحى الى به ضميرى سأطلب الرزق من حرفه أخرى» «ويرد عليه عميل الاحتلال قائلا: نعم الأفضل أن تحترف حرفة أخرى»

ويمضى نقولا حداد قائلا «غير أن فرحا لم يكترث، بل استمر فى خطته فكانت نتيجتها حينئذ اقفال ثلاث جرائد على التوالى بسبب شدة قلمه وتشبثه بالحرية وايضاح الحق «(١١)

وأسهم فرح فى تحرير صحف الوفد، حتى أنه قد اعتبر وفديا متطرفا، لكنه وفدى من نوع خاص، فما أن لاحظ على تصرفات سعد زغلول بعضا من التردد، عندما أعلن سعد فى تصريح لجريدة الأخبار استعداده للتفاوض مع الانجليز حتى تحول فرح من تأييد سعد الى معارضته، بل وحول معه «الأهالى» الى معارضه سعد- برغم أنها كانت تعتبر منبرا وفديا.

ويخوض فرح أنطون معركته حتى مداها فتنشر الأهالى قصيدة عنيفة ضد سعد زغلول الزعيم المهاب اللامة والذى ،اكان لأحد أن يتجاسر ضده بأى انتقاد.. تقول القصيدة:

الى أين تمضى بالأمانة ياسعد
وتجنى على شعب عليك له العهد
رويدك لاتعبث بأمال أمة
شغوف بالاستقلال يهتاجها المجد
فيا سعد حاذر أن تزل طريقة
والا فلا سعد هناك ولاوفد(١٢)

ويقود فرح أنطون على صفحات الأهالى حملة لجمع توقيعات تعلن سحب التوكيل من الوفد، وتفسح صفحاتها لنشر أسماء الموقعين لعدة أيام على التوالى تحت عنوان «الرأى العام يسقط التوكيل عن الوفد «(١٣)

بل أن الأهالى تحت قيادة فرح أنطون تتحول الى التحالف مع. «جمعية الطلبة المصريين فى باريس» وهى الجمعية التى كانت تجسد تحرك الطلاب المصريين اليساريين والتى اختارت كرمز لثورة ١٩١٩ علما ذا رقعة حمراء وهلال وثلاثة نجوم وذلك كبديل عن العلم ذى الرقعة الخضراء الذى كان سائدا فى هذه الأيام، وعلى صفحات الأهالى تنشر العديد من بيانات هذه الجمعية اليسارية متخذة عناوين مثل «احذروا المفاوضة أيها المصريون» (١٤) و «الجمعية المصرية بباريس تنزع ثقتها فى الوفد وتطلب الامتناع عن كل مفاوضة «(١٥-١٦)

ويتواصل هذا الحلف اليسارى لفترة حتى يتراجع سعد تحت ضغط الجماهير ويرسل برقية الى جريدة الأخبار يقول فيها «انى لاأدخل فى أى مفاوضة على أساس مشروع ملنر قبل تعديله بالتحفظات، ولاأؤيد من يدخل فيها بدون هذا الشرط، مهما كانت علاقته بشخصى. ومهما كانت ثقتى به» (١٧)

ويعود فرح أنطون وتعود الأهالى لتأييد سعد وتزف البشرى للجماهير الثائرة قائلة «الاستقلال التام هو الراية التى يلتف حولها الجميع» (١٨)

ولقد كان قلم فرح صادقا وحادا كسكين، ولم يعرف المهادنة أو الملاينة، وبعد أن تسببت مقالاته فى اغلاق العديد من الصحف، استقر فى «الأهالى» ستة أشهر، وصدرت «المحروسة» لتحل محلها، فأغلقت المحروسة وأوشكت الشهور الستة على الانتهاء بما يعنى قرب عودة «الأهالى» من جديد ويجرى الحوار التالى بين الصديقين فرح ونقولا الحداد..

«الحداد: من الأفضل أن تخففوا الهجوم حتى تسلم «الأهالى» من عقاب الاقفال.

فرح: معنى هذا أن نرمى سلاحنا ونرفع العلم الأبيض ونسلم أنفسنا للخصوم.

الحداد: ولكن ماذا تفعلون اذا عادت الحكومة وأقفلت الأهالى ثانيا؟

فرح: نحن محاربون، فاقفال «الأهالى» أفضل جدا من أن تحيد شعرة عن خطها، والهلاك فى الحرب أفضل من التسليم.

الحداد: لكن ماذا تفعلون وهى مقفلة.

فرح: نفعل مايفعله الجيش اذا تحصن عدوه من جهة، فنأتى اليه من جهة أخرى. نفعل مايسمونه فى الفنون الحربية حركة التفاف.

الحداد: كيف؟

فرح: نكتب كتبا وكراريس، ونؤلف روايات تمثيلية عن سكان جزيرة واق الواق والشعب ذكى يفهم» (١٩)

وعادت الأهالى للصدور، ونشر فرح فى صدرها مقالا بعنوان «بين الاقفال والفتح» قال فيه «قضى على الأهالى بالسكوت ستة أشهر مكرهة مضطرة فسكتت مرة، ثم رأينا أن نجرب هواء الحرية الجديد، ونبلو ريح الاستقلال التى كانت تتمخض به الأيام فأحللنا جريدة المحروسة محل الأهالى نحو شهر.. الا أن جريدة المحروسة أسكتت كما أسكتت الأهالى من قبل، وكان اسكاتها على وجه التقريب ليله تشكيل الوزارة الجديدة وزارة الحرية والاستقلال، فعلمنا يومئذ حقيقة الجو الذى يريدون خلقه ومعنى الريح الجديدة التى سيجعلونها تهب على الناس..

.. والآن نحن مضطرون أن نجرب تجربة جديدة، لأن وظيفتنا أن نعمل ونكتب وننشر ماتوحيه الينا ضمائرنا وذممنا. فان كان فى نظام الوزارة الجديدة مايبيح لنا العمل والحياة كسائر الناس أخذنا حقنا ونصيبنا من العمل والحياة من غير أن نحيد قيد أنمله عما توحى به الينا ذممنا وضمائرنا.. وأما اذا كانت الحياة فى مصر مباحة لفريق من الناس دون فريق، فلا عدل، ولاحق، ولاأمن، ولاحرية، الا اذا وافقت هذه الأمور أغراض الحكام أو أهواءهم، ان كان ذلك قد أصبح كذلك.

فياموت زر أن الحياة ذميمة ويانفس جدى، أن دهرك هازل»

.. ولم يصدر من الأهالى سوى عددين وأغلقت فى اليوم الثالث. لكنها لم تكن نهاية الأهالى وحدها فالرومانسى المحتدم حماسا كان مريضا مرضا شديدا، لكنه ابى ان يستسلم للمرض فحملوه بناء على الحاحه الى ادارة الجريدة حيث حرر مواد العددين الأول والثانى وعاد بعدها الى البيت محمولا على أثر اغماء.. ولم يخرج بعدها الا الى القبر..

ويروى نقولا حداد «لقد حاولنا منعه من الذهاب الى الأهالى لكنه أصر قائلا: لابد من عودتى للعمل ولابأس من أن أموت فى دار الأهالى» (٢٠)

لكن فرحا لم يكتف بالكتابة فى الصحف فعندما حاصره العدو قام بحركة التفاف.. وكتب روايات و «الشعب ذكى يفهم».

وفى الفترة مابين اغلاق صحف الحزب الوطنى وهجرة قيادته، وبين اشتعال الثورة وصدور جريدة الأهالى كانت هناك سنوات قاتمة، وكانت الحماية البريطانية تفرض سطوتها الغاشمة، انغمس فرح أنطون فى كتابة المسرحيات.. وكان بعضها جيدا، وبعضها تجاريا يخضع لمتطلبات أصحاب الفرق.. وتعرض فى ذلك الحين لانتقادات مريرة

«فلقد أسرف بعض الاسراف فى هوى النفس، فراح ينقاد لضرورات المسرح ليرضى منيرة المهدية والوسط المحيط بمنيرة المهدية، وماكنت تسمع من أفواه الأدباء والعارفين لفضل فرح الا التأسفات ومر الانتقادات» (٢١)

وربما رأى البعض «أن الحاجة قد حولته عن مجراه الى مسرحى سطحى يكتب ليعيش» (٢٢).. أما عباس محمود العقاد، فقد حاول انصاف الرجل بدرجة محدودة فقال «كان فرح أنطون كاتبا على استعداد للرواية الفضلى، وكانت ملكته القاصة تظهر أحيانا فى مقالته الأدبية والسياسية، كما تظهر فى رواياته وحكاياته، وقد مال به هذا الاستعداد الى وضع الروايات، فأحسن وارتفع فى روايته «أورشليم الجديدة» ثم تقلبت به الظروف وألمت به محن، وطلب اليه وهو بين اليأس والرجاء، أن يترجم أو يكتب للمسرح فلبى، وبدأ بداية حسنة ولكنه لم يحقق بغيته فكان عثاره أكثر من صوابه» (٢٣)

.. لكن بعض النقاد استطاع أن يكشف الحقيقة، وأن يمسك بالخيط الصحيح فكتب أحدهم يقول «لقد تشبه بكتاب الفرنجة والروس فجعل ماصنفه من الروايات وسيلة لبث آرائه الاجتماعية، فغلبت عليه الخطب والمواعظ والمجادلات، فضعفت فى قصصه الميزة الأدبية والفنية» (٢٤)

.. ونعود فنذكر بكلمات فرح أنطون «نلجأ الى حركة التفاف، نكتب كتبا وكراريس ونؤلف روايات، نصنع روايات تمثيلية عن سكان جزيرة واق الواق.. والشعب ذكى يفهم»

ولعلنا سوف نجد الدليل على ذلك عندما نطالع معا بضعة مقاطع من روايته «الدين- والعلم- والمال».

ج. فرح المفكر:

ولقد بدأ تألق فرح فى السماء المصرية فى مجالات العلم والفكر والفلسفة.. والحقيقة أن فرح أنطون قد غاص فى بحر المعرفة الموسوعية فقرأ كثيرا وخاصة «لروسو، ورينان، وفولتير، وكانت وداروين، ونيتشه، وكارل ماركس، وتولستوى، وابن طفيل، والغزالى، وعمر الخيام وغيرهم «(٢٥)

ومن هذه المعرفة الموسوعية استطاع أن يكون فى كتاباته معلما لجيل المثقفين المصريين الذى تطلع فى مطلع القرن العشرين الى المعرفة الحديثة، ويعلق أحدهم على كتابات فرح أنطون فى مجال الفكر والفلسفة قائلاً لقد كانت جديرة بأن تكتب بماء الذهب «(٢٦)

أما سلامه موسى فقد قال أن أثر كتابات فرح فى نفسه «كان شبيها بذلك الأثر الذى يتركه دين جديد فى قلب حديث الايمان.»

والحقيقة أن فرح أنطون كان وقد اطلع سريعا وفى نهم على فلسفات عديدة ومتناقضة، يقف منها موقف المأخوذ والمتفهم والناقد فى آن واحد بما جعل أحدهم يقول عنه «كان يتمزق بين فلسفات عديدة، كان مؤمنا وغير متدين، مسيحيا ولايصلى، لم نره يوما فى كنيسة، وماسمعنا أنه حضر قداسا، على أن هذا لايمنع أن يكون مسيحيا مخلصا «(٢٧)

ويقول آخر «لقد كان فرح أول من عرف العرب بالفيلسوف الالمانى نيتشه، وأول من عرفهم أيضا بأفكار المعلم كارل ماركس «(٢٨)

.. وما أبعد الفارق بين ماركس ونيتشه.

لكنها هى حياة فرح.. هكذا كانت، فبينما كان يصارع مع أفكار نيتشه محاولا استيعابها وتضمينها فى روايته «العالم الجديد أو مريم المجدلية» حيث يقف شيشيرون ليلقى عبر الرواية خطبا مستوحاة من فكر نيتشه فى تحقير الضعف واحتقار الرحمه وتعظيم القوة به- وكأنه يستشعر خطأ مايكتب- يتوقف عن نشر بقية الرواية، ثم يسرع الى نشر بديل لها.. هو ترجمة رواية ملفا لمكسيم جوركى..

ويعلق أحدهم على ذلك قائلاً «وهكذا التقى الصيف والشتاء على سطح واحد»(٢٩)

والآن.. هل لنا أن نتوقف عند المرساه التى ألقى قارب فرح أنطون المتقلب بين أمواج عدة.. بشراعه نحوها.

ونود أن نسجل أولا أن فرح كان مفكرا وصحفيا فى آن واحد، بمعنى أن الصحفى كان ينتزع المفكر من تأملاته مستحثا أياه كى يكتب كل يوم.. حتى ولو نقل أفكارا لم تلتصق بذهنه ولم يتقبلها وعيه.

فبعد أن ينشر طويلا وكثيرا عن نيتشه وفلسفته ومواقفه، ويواصل النشر عبر فصول طويله لروايته «العالم الجديد أو مريم المجدلية» فاذا به يتوقف ليثبت رأيه فى بيتين من الشعر لعله

يتبرأ فيهما مما كتب..

هذا كلام نيتش أن نيتش كان مقوم المعوج والمنآد
فى زعم بعض الناس اما مذهبى فيه، فأبقيه الى ميعاد

ولعل فرح قد تأثر فى بداية حياته تأثرا كبيرا بالفيلسوف الفرنسى «رينان» وكان يتباهى دوما بأن رينان لم ينحز لفكرة، أو لحزب ما، أو لمذهب ما «ذلك أن رينان عاش ومات بين الأحزاب فلم يكن منسوبا لاحدها ولو سئل رينان فى حياته ماهو حزبك؟ لأجاب ولاشك حزبى البشر كلهم. لأنى أخ لهم جميعا لالفريق منهم، ولهذا فانك ترى فى أفكار رينان كثيرا من التناقض فانه يعيش للملكى والجمهورى، والجاحد والمؤمن، والقديم والحديث، والمتعصب والمتساهل، ذلك أن فكره واسع رحب يستطيع فهم كل مافى تلك المتناقضات من الجمال والحقائق، فيذكر محاسنها ومساؤها معا باستقلال تام، وانصاف كامل كأنه واقف أمام الدينونه الأخيرة» (٣٠)

.. ويعود فيؤكد على هذا التساهل الفكرى عند رينان ثم يقرر «وهذا معنى قولنا عنه فى صدر الكلام أنه مثال الفيلسوف الكامل»(٣١)

ولعل هذا يوضح لنا سر الارتباك الذى ساد كتابات فرح فى السنوات الأولى من حياته الفكرية، لكن الخط لم يلبث أن استقام، فرجل كفرح لايعرف غير الاستقامة ومن ثم فانه لايلبث أن ينتقد مسلكه السابق..

«إن كثرة الكتاب فى الشرق، وتعدد الآراء وتنوع اللغات، والترتيبات، قد جمعت فى كتبه ومجلاته وجرائده جميع الأراء الفلسفية ومذاهب الأدب الكتابى، وقد اجتمعت متناقضة متضاربة وأصبحت خليطا من جميع المذاهب فنرى فيها مذاهب سبنسر وداروين وماركس والقديس توما وأفلاطون وابيقور وفلاسفة الاسكندرية وشوبنهور ونيتشه وزولا وكل هذه المذاهب المختلفة نراها فيه متجاورة مشتبكة اشتباك الأسل، وعلة هذا الاختلاط والاختباط هو عدم وضوح المبادىء بعد لأبناء الشرق، للاجتماع حول كل منها أحزابا كل حزب يعرف أصل مبدأه وفروعه ويجعل الدفاع عنه وعنها لموافقتها مزاجه واخلاقه وآراءه.. ذلك أن الخلط بين المبادىء دليل على الجهل بها، والجهل بها، دليل على انحطاط العلم عندنا، وكونه لايزال فى طفولته»(٣٢)

.. هكذا استقام السهم، وما أن استقام حتى عرف كيف يصل الى مرماه..

ولكن بم نبدأ..

هل نبدأ بالشوك، فنسير فوقه عن عمد لتفتح أصعب صفحات الكتاب الصعب؟

لم لا.. فلنبدأ بالقضية الشائكة دوما. قضية الموقف من الدين.

ولكن وقبل أن نبدأ لم لانسأل أنفسنا هذا السؤال المثير: لماذا حرص المفكرون الشوام- فى أغلبهم- على خوض غمار المناقشة الصعبه المراس فى مجال الدين رغم علمهم بحساسية هذا الموضوع عند المصريين وخاصة المسلمين منهم، خصوصا وأنهم كانوا جميعا- ولعلها محض مصادفة- من المسيحيين.

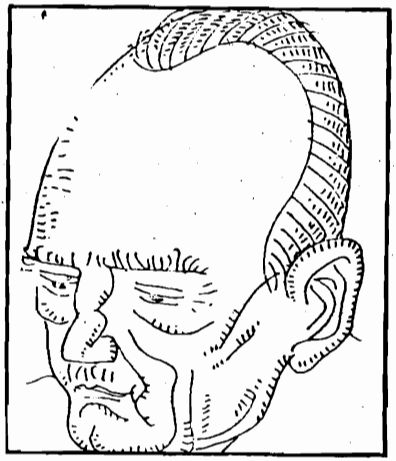

ثمة اجابات عديدة على هذا السؤال الصعب.

جمال احمد يقول «أن شميل وفرح أنطون قد تأثرا بالأفكار التى سادت فى أوروبا فى القرن الثامن عشر، فتزعما اتجاها علمانيا يتصور أن الدين يعيق العرب عن النهوض الى مستوى الحضارة الغربية، وأن السبيل الوحيد للتقدم هو تخليص المجتمع من نفوذ الدين» (٣٣)

أما كامل عسلى فيقول «أن الارساليات البروتستانتية والكنيسة المارونية التى مارست نفوذا كبيرا فى لبنان قد خلقت جوا من الارهاب كى تحكم قبضتها على أتباعها، وقد أدى هذا بالمفكرين اللبنانيين الى أن يشنوا هجمات عنيفة على التعصب والطائفية»(٣٤)

أما عباس محمود العقاد فيجيب على ذات السؤال «ولعل سائلا يسأل، لماذا التحدى البين للنفوذ الدينى خاصة من خواص النشأة السورية (يقصد بلاد الشام) فأقول لهذا المتسائل أننى كنت كذلك أعجب لهذا الأمر، استغرب الغيظ الشديد الذى تتوهج به كتابات السوريين الأحرار حين يحملون على النفوذ الدينى فى بلادهم».. ثم يمضى قائلا لـ«أن رجال الدين هناك ربما كانوا أقوى الطوائف الدينية فى العالم وأوسع رعاة الكنائس اشرافا على حياة أتباعهم، فقد جمعوا بين الزعامة فى الدين والزعامة فى السياسة والزعامة فى العلم. وناهيك بها من سطوة هائلة تغرى بالتحدى وتغرى بالمناجزة.. وكانت طائفة رجال الدين فى البلاد السورية ولاتزال معقد آمال الشعب فى الحرية، لما بينها وبين الحكومة الفرنسية والحكومات الأوربية من صلة معروفة وأنها كانت ولاتزال قائدة الأفكار، وقدوة المسترشدين لأنها منشئة المدارس وطابعة الكتب ومربية الصغار والكبار واذا اجتمعت لفئة هذه السطوة فغير عجيب ألا يرضى عنها وأن يتبرم بها فريق الشبان المتعطشين الى المعرفة الحرة التواقين الى الآراء المتجددة من أصحاب النفوس الأدبية والعقول الطليقة.. وغير عجيب أن يجعلوا تحديها شغلهم الشاغل فى كل مايدرسون ويكتبون»(٣٥)

ونضيف الى كل ماسبق أن هؤلاء المفكرين المتحررين قد وجدوا أنفسهم محاصرين بين سطوة

النفوذ الدينى لرجال ديانتهم، وبين سطوة النفوذ العثمانى المتخذ ثيابا دينية هو الآخر. فوقعوا بكل أفكارهم وطموحاتهم بين فكى كساره البندق.

ويروى فرح أنطون بعضا من مأساته بين فكى كسارة البندق فى رسالة مفتوحة وجهها الى والى بيروت السابق معلقا فيها على أحداث الفتنة الطائفية هناك.. يقول فرح فى رسالته «أن مجلة الجامعة نشرت فى جزئها الخامس رواية له عنوانها الوحش، أو سياحة فى أرز لبنان، وفى هذه الرواية فصل طويل بشأن الديور والرهبان وقد جاء فى الفصل أن الديور لانفع فيها اليوم للناس اذا لم تغير خطتها. فلما حدثت حادثة بيروت تألمنا وأخرنا ارسال الرواية الى لبنان، لأنها لو وصلت فى ابان الحادثة لقوبلت بالسخط والضحك معا، وربما لانعدم هناك راهبا متحمسا يقف ويقول:

نفع الديور فى هذا الزمان ظاهر للعيان، فانها تفتح أبوابها لألوف اللاجئين من بيروت فتأويهم وتغذيهم وتسكن قلوبهم»(٣٦)

وعن رينان يتعلم فرح احترام العقل والعلم.. والدين عنده لايخرج عن محورهما.. ويورد فرح فى ترجماته ماأسماه «صلاة رينان» التى يرفعها لألهة العقل والحكمة مؤكدا لها أن كل ماسواه زائل «اذ لايمكن صنع شىء ثابت بغير القواعد التى وضعتها أنت ياآلهة العقل» «لكنه يعود فيرثى لحاله موجها كلامه لذات الآلهة «ثم أنك تعلمين كم صارت خدمتك صعبة فى الأرض، فان كل استقامة ذهبت منها»

ثم يؤكد رينان فى صلاته أن الديمقراطية والعدل هما السبيل الوحيد لسعادة البشر فيقول «أنت وحدك فتية طاهرة نقية أيتها العذراء الجميلة، أنت وحدك قوية ياآلهه النصر، أنت وحدك تحفظين المدن وتحرسينها، أن لك كل مايلزمك من القوة، ولكن لاغرض لك غير السلام، فما واضعة الشرائع العادلة ياأيتها الديمقراطية التى مبدأها الأساسى أن كل خير هو آت من الشعب، وأن كل مكان ليس فيه شعب يوحى الى النفوس عظائم القرائح فانه ليس فيه شىء، أيتها الآلهة علمينا كيف نستخرج الماس من الجموع الجاهلة»

هكذا يكون الشعب طريقه الذى لاطريق سواه «أننى أومن بك أيتها الآلهة، ومتى كنت قويا بك فاننى أقاوم كل نصح يفرنى، أقاوم ارتيابى الذى يجعلنى أشك فى الشعب. أقاوم اضطراب فكرى الذى كلما وجد الحقيقة لا يكتفى بها ويدفعنى الى البحث عنها أيضا، أقاوم هوسى الذى يمنعنى من الرضى بحكم العقل حكما قاطعا.. أننى أفضل أن أكون الأخير فى منزلك على أن أكون الأول فى سواه»

وتتجسد الرومانسية الثورية فى ترانيم ينشدها فى محراب العقل والعدل والشعب «فاعلمى أننى سأوقف نفسى على خدمتك، واربط روحى فى هيكلك، سأنسى كل نظام غير نظامك، وأجعل غرفتى بجانب غرفتك، بل أعظم من ذلك أننى سأجعل نفسى اذا استطعت متعصبا متحيزا اكراما لك، فلا أحب شيئا غيرك، اننى سأتعلم لغتك وأنسى كل لغة سواها، سأكون ظالما لكل شىء لايتعلق بك، سأجعل نفسى أحقر خادم لأحقر أبنائك، سأمدح سكان أرضك وأحب فيهم كل شىء حتى عيوبهم»

لكن كل الحقائق نسبية الا شيء واحد هو الايمان بالشعب.

«أحلام كل الحكماء فيها شيء من الحقيقة، وكل شيء فى هذه الأرض ليس الا رمزا وحلما، فان الألهة تذهب وتمر كالناس، وليس يحسن أن تبقى أبدية، والايمان الذى كان للانسان لايجب أن يكون له قيدا» .. ولكنه يمضى ليؤكد «لادموع حقيقية الا دموع الشعب»(٣٧)

ولكن فرح لايكتفى بتقديم «صلاة رينان» فان له صلواته الخاصة، صلاته الأولى أوردها فى مقدمة روايته «أورشليم الجديدة» فهو يوجه حديثه الى «المسيحية» التى يرمز اليها «بالحسناء المريضة» فيقول:

«وأسفاه، عاد الغالب الى عادات المغلوب. ان المادة قويت على الروح.. والمصالح على المبادىء، والتقليد على الفكر والعقل، فهاتوا لنا معولا آخر للهدم مرة ثانية. الينا ياملائكة السماء بجراح جديدة لمداواة هذه الحسناء المريضة، ولكن رحماكم فلتكن سكين هذا الجراح نحيفة، أننا نشفق على جسمها النحيل وقلبها الرقيق وجمالها الساحر ونفوس الملايين المتعلقة بها»

فالمسيحية بحاجة الى مدد فكرى وفلسفى جديد.. او هذا مايعتقد.

«هات روحك يابوذا لتعلمها الصبر والقناعة، هات فكرك ياكونفو شيوس لتعلمها الحكمة، هات بلاغتك الالهية ياأفلاطون لتدخل الى عروقها دم الفلسفة ممزوجة بالأنوار السماوية، هات عقلك ياأرسطو لتقوية عقلها، هاتوا ياحكماء ممفيس والاسكندرية وأثينا وروما كل حكمتكم وفلسفتكم لعلها تشفى.. واياكم أن تقولوا أنها فى غنى عن كل ذلك بما لديها من المبادىء الساذجة، فانها نسيت مالديها، ونسيت الفطرة والسذاجة. نعم أن فاها لايزال يردده ويترنم بألفاظه ولكن ياللاسف أن قلبها لم يعد يفهمه ولايقتنع به. ولذلك ذهبت منها صحتها وجمالها»(٣٨)

واذا كان حال المسيحية قد وصل عنده الى هذه الحالة فان ثمة جديداً..

«أن الشعب الحديث الخارج من رمال بلاد العرب قد استولى على ذلك الفكر الذى هجرته وهجم عليك بسلاحك بريئا فى أول نشأته من تلك النقائص التى أودت بك، لقد زحف ممثل الوحدة والعصبية والاصلاحات الشعبية والحياة الروحية والمعيشية الطبيعية والمساواة والاخاء والحرية، ومن فرط ثقته بنفسه وبمبدئه يظن أنه وحده سيمثل الوحدانية-. وبهذه المناقب سيتسولى على الكرة الأرضية»

لكنه وبعد أن يمتدح الاسلام يعود فيرتد الى موقفه السابق «وسيبقى هذا الملك حتى تفارقه تلك المناقب كما فارقتك فيصيبه ماأصابك»

ثم يحبس الجميع مسلمين ومسيحيين أنفاسهم وهم يقرأون العبارات التالية «وفى ذلك الوقت تنطرحان كلاكما على الأرض أخوين فى المصاب تنظران الى الأمم والمبادىء الأخرى التى تجىء بعدكم»

لكنه بعد ذلك يدعو الجميع.. من كل الأمم الى أن ينشدوا معا «المجد لله فى الأعالى لأن الله خالقنا عظيم»

ويتوجه فرح أنطون فى احترام شديد الى رجال الاكليروس قائلا «ياأساتذتى الأعزاء.. الذين مات أكثرهم الآن. انى أراكم أحيانا فى أحلامى، ولكننى أراكم كتذكار حلو عندى.. فاننى لم

أخنكم بقدر ماتظنون، نعم قلت أن تاريخكم غير كاف، وفلسفتكم أضعف من الفلسفة التى تعلمنا أن لانقبل شيئا خاصا وراء الطبيعة، ومع ذلك فلا أزال تلميذا لكم، فانى مثلكم أعتقد أن الحياة لاقدر لها ولاقيمة الا بصرفها فى الاخلاص والحقيقة والخير. الا أنكم تفسرون هذا الخير تفسيرا ضيقا وتجعلون هذه الحقيقة مادية مجسمة، وأن كنتم مصيبين من حيث أساس الموضوع»(٣٩)

طائر البحر الابيض

.. هذه العلاقة الشديدة التعقيد بين فرح وبين الدين يعود فيفسرها تفسيرا أكثر تعقيدا فى كتابه «أوراق منثورة» فيقول «أن نفسى ستكن بعد وفاتى فى خرائب كنيسة القديس ميخائيل، بشكل طائر البحر الابيض، وسيبقى هذا الطائر حائما فى الليل حول أبواب الكنيسة ونوافذها تائها عن المدخل شاكيا متألما وهكذا تبقى نفسى المسكينة حائمة متألمة حول هذه الأكمة الى الأبد»

.. ويعود فرح ليفتش فى كتابات عمر الخيام ويستخلص منها عبارة ملفتة للنظر «ليست الهياكل والكعبة سوى أماكن للعبادة، وماأصوات الأجراس الاتسبيح بحمد القادر على كل شيء.. وكذلك محراب الجامع والكنيسة والهيكل والصليب، وكلها ليست فى الحقيقة الا أشكالا مختلفة لحمد الله وعبادته»(٤٠)

ويخوض فرح معركة فصل الدين عن الدولة.. وعن التعليم.

«ذلك أن الدين علاقة بين المخلوق والخالق، فالمسيحى حر فى أن يعبد الله كما يشاء، وليس من حق الدولة أن تتداخل فى شيء من ذلك.. وفى التعليم يجب وضع الدين جانبا.. أما الدورس الدينية والمبادىء الدينية فتدرس فى المعابد والمنازل»(٤١)

وهو يدافع عن حرية العقل والفكر بلاقيد «لايجوز للناس أن يمنعوا العقل البشرى من الانطلاق فى جو الفكر لطلب الحقيقة والعلم والنور بالآلات العقليه التى منحه الله اياها دون تضييق على هذه الآلات وايقافها فى مجراها»

.. ومن هذا المنطلق يقترب فرح فى انبهار شديد من فكر ابن رشد، ويتمسك بالجانب المادى منه ويتحدث عنه مطولا.. وينقل عن ابن رشد عبارات تثير فى نفوس المؤمنين حرجا بالغا.. فهو ينقل عنه ملاحظاته عن الخلود والبعث فيقول أن الخلود للانسانية أى للعقل الفاعل العام أما العقل الخاص المنفعل فان من صفاته الفناء وبناء عليه يكون العقل الفاعل (الانسانية) خالدا، والعقل المنفعل الخاص (الانسان) فانيا، وبناء على ذلك لايكون بعد الموت حياة فردية»(٤٢)

الى هنا وتثور ثورة عارمة ضده، خاصة وأنه فى ختام حديثه تهرب من الاجابة عن مدى صواب أو خطأ هذه الأفكار وقال أننا نجد «فى بناء كل واحد من الفلاسفة رملا وصخرا أى ضعفا وقوة»

.. واستمر الجدل، ولم يكن فرح من ذلك النوع الذى يتراجع أمام ضغط. وتصدى له الامام محمد عبده وثار بينهما جدل عنيف برغم أن فرح أنطون كان يسجل دوما اعجابه بالشيخ محمد

عبده «فاننا نطالع بامعان لامزيد عليه كل ماتنشره رصيفتنا مجلة المنار الغراء من الدروس التى يلقيها فضيلة الاستاذ الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية فى الجامع الأزهر تفسيرا للقرآن، فنجد فى كل صفحة من صفحاتها روحا جديدا اذا تم انتشاره كان بمنزلة اصلاح عظيم فى العالم الاسلامى»(٤٣)

واحتدم الجدل بين عملاقين، وحاول البعض أن ينحرف به الى جدال بين مسلم ومسيحى. ويكتب حافظ ابراهيم بيتا من الشعر يؤيد به الامام يقول فيه:

وأنت لها إن قام فى الغرب مرجف
وأنت لها إن قام فى الشرق مرجف

ويغضب فرح ويكتب الى حافظ معاتبا «حافظ، حافظ، أنت لم تحاسب نفسك لما نظمت هذا البيت»(٤٤)

.. وخوفا من تحول الأمر الى فتنة اتفق الرجلان الى ايقاف جدل كان جدلا عقليا وعلميا.

وبرغم ذلك كله.. وبرغم أنه قد تهكم كثيرا على رجال الدين المسيحى.. وبرغم أنه يقول فى روايته «الوحش، الوحش» ان تاجرا قد تقدم بشهادة الى السيد كلدن فرد عليه كلدن «هل تريد أن أجعل أحد خدامى يجلب لك مثلها العديد، ومن بينها شهادة رئيس دينى كبير مقابل عشرة ريالات فقط»(٤٥)

برغم ذلك كله فقد وقف أحد رجال الدين المسيحى هو الارشمندريت ايصائيا عبود (دير مارجرجس الحصن) يرثيه عند وفاته قائلا:

«آيه، ايه يافرح، أنت مامت، أنت مشيت الى الخلود، على ضوء يراعك.

كفروا، كفر الأولى مادعوك رسولا، وجهاد الرسولية يعبق من شق قلمك، إن لفى كتبك وبين تضاعيف سطورك تلمع أمضى السيوف نضالا وانتصارا ودفاعا.

كم سبكت من روحك؟ من ضوء عينيك؟ من دم فؤادك؟ انك لمن على درجات التضحية حملت كلمة البشارة الى بنى جلدتك.

بيمنيك حبكت اكليلك الخالد

بريشتك الساحرة طرزت ثياب العرس فادخل الى فرح ربك»

.. ويحق لنا أن نزداد دهشة..

د. الرومانسى اشتراكيا:

قدم الرومانسى الثائر صلوات عديدة، لعل أجملها وأكثرها رقة وعذوبة صلاته الشهيرة أمام شلالات نياجرا، والتى رتلها أثناء وجوده فى أميركا، تلك الصلاة التى وصفها أحد الصحفيين بأنها «من أجمل وأنفع ماكتب فى العالم بأية لغة من اللغات»(٤٧)

وقف فرح أنطون خاشعا أمام الشلالات الجبارة ليقول:

«أتذكر أيها الشلال يوم كان شاطئك مرتعا لاولئك الهنود المساكين قبل أن يصل اليك البعض ويغتصبوا أرضهم هذه ظلما وعدوانا»

ثم يمضى سريعا ليتحدث عن عملية التحويل الرأسمالى التى غيرت وجه أمريكا «قد غيروا أرضك ومن عليها أيها الشيخ، وهم يظنون انهم حسنوها وحسنوك، وجملوها وجملوك، وماجمالهم الا كجمال المرآة الدميمة زخرف خارجى، وطلاء سطحى، حك هذا الطلاء قليلا فتجد جيفة منتنه»

بل انه يؤكد أن الوحوش الضارية التى كانت ترتع فى الماضى على ضفاف الشلال أشد رحمة وأقل وحشية من وحوش الرأسمالية «فان الامم تتعادى وتتسلح تأهبا لاقتتال أنظع من اقتتال الذئاب، والشعوب يأكل فى داخلها كبيرها صغيرها، وقويها ضعيفها كما تفعل أسماكك»

«فروكفلر يملك من المال ألف مليون، بينما ملايين من البشر يستعطون الخبز ولايجدونه. وهو يستخدمهم بأجور تافهة لزيادة ثروته الملطخة بدمائهم وعروقهم، وهم يسكنون ويعملون لانهم مضطرون، والسلطة فى الأرض ضعفت وكادت تنحل فان الناس أسقطوا العروش والملوك، ولكنهم أقاموا مكانها لكل واحد منهم ملايين من الرؤوس، فقويت بذلك سلطة المشعوذين والدجالين والجهلاء الناصحين، الذين يتملقون الشعوب ويضلونها، كما كان اخصاء الملوك يتملقونهم ويضلونهم. والأفراد يتخاصمون ويتعادون، ويفترش بعضهم بعضا بأيديهم وألسنتهم وأقلامهم، تنازعا على الرزق والسيادة.. وقبح هذا الرزق وهذه السيادة. اذا كان لايبلغ اليهما الا بالرجوع الى وحشية وهمجية أشد من الوحشية والهمجية الأولى.. فاذا كان كل هذا هكذا، أيها الشلال، فأين الارتقاء الذى يزعمونه ومافائدتك فى استبدال ذئابك القديمة بهذه الذئاب الجديدة التى لها طباع تلك»(٤٨)

ومنذ اليوم الأول من القرن العشرين يقف الرومانسى ليرتل للقرن الجديد ترانيم تتحدث عن الاشتراكية. فى اليوم الأول من الشهر الأول من القرن العشرين.. يكتب فرح أنطون فى مجلته «الجامعة»:

.. «يصدر هذا الجزء من الجامعة يوم انتهاء القرن التاسع عشر، ودخول القرن العشرين، فوداعا أيها القرن الراحل وسلاما أيها القرن القادم..»

لكننا يمكننا أن ننظر للحدث التاريخى من أكثر من زاوية، فأية زاوية اختار فرح أنطون ليتحدث منها عن القرن الراحل:

.. «لنر هذا القرن على لهيب الثورة الفرنسية، ومدافع نابليون يدوى صداها فى الجهات الأربع.. ولقد كان من تأثير هذه الثورة أنها وضعت أساس الحرية فى العالم على أسس ثابتة

يناد بذلك فقط بل أعطى الأفراد والشعوب قوة توصلهم الى أغراضهم اذا راعوا النواميس الطبيعية وابتغوها بلا افراط ولاتفريط»

لكن فرح لايستطيع أن يكتفى بذلك، فثمة فضل آخر للقرن الراحل.. «ذلك أنه من أعمال القرن التاسع عشر الاجتماعية استفحال أمر الاشتراكيين استفحالا نفع المبادىء الديمقراطية وأفاد ضعفاء الامم، افادة تذكر لهم بالشكر.. وتفصيل ذلك يطول ايراده فنكتفى بهذا البيان الوجيز»(٤٩)

وحتى قبل بداية القرن، كان الأمر واضحا بالنسبة لفرح أنطون، وكان موقفه من النظام الرأسمالى، بل والعالم الرأسمالى ككل واضحا أيضا.

ففى ١٣ نوفمبر ١٨٩٩، حدث كسوف فى الشمس أثار هواجس الناس بقرب نهاية العالم، وينتهزها فرح أنطون فرصة لينادى بنهاية عالم قائم وقيام عالم جديد.

«متى ينتهى» «هذا العالم».. «يسألون متى ينتهى هذا العالم، ونحن نقول لهم متى ينتهى، يعدل الحكام، ينتهى حين يعامل ولاه الأمور شعوبهم كما يعامل الآباء أبناءهم، ينتهى حين تنفق الحكومات ماتدفعه الشعوب اليها من الضرائب والرسوم الضرورية فى تعليم الشعوب وانقاذها من آفة الجهل الهائلة، لاعلى البذخ والأمور الكمالية، يومئذ ينتهى عالم الجهل والشقاء والفقر والرذائل والأوهام ويقوم عالم ثان تنيره شمس الفضيلة الباهرة والادب الغض والعلم الصحيح، والا فسواء موتنا وحياتنا فى العالم الحاضر، وسواء خرابه وعماره، اذا بقى على ماهو عليه الآن»(٥٠)

والحرية.. مطلب هام عند فرح أنطون، تمسك بها دوما، وناضل دفاعا عنها فى كل حين.

.. «وعندنا أن أولى حاجات الكاتب الجرأة والحرية، ونريد بذلك حرية الفكر والنشر، وتحت الحرية، تدخل فضائل كثيرة فإنه متى كان الكاتب يكتب بحرية واستقلال فكر، فانه يكون صادقا منصفا عادلا... ويشترط أن تكون الحرية مطلقة فى أقواله لا أن يتكلم بحرية فى هذا الموضوع لأن الحرية موافقة لمصلحته، ويداهن ويصانع فى ذلك الموضوع لأن الحرية فيه مخالفة لمصلحته»(٥١)

وهو ينشر ترجمة لوثيقة حقوق الانسان الفرنسية مؤكدا.. «حقوق الانسان لايجوز أن يدوسها انسان»(٥٢)

ويخوض فرح معركة من أجل مجانية التعليم والزاميته، مؤكدا أن ذلك ضرورى لنهضة الوطن وخطوة أولى نحو نشر المعرفة «فالمعرفة تجلو عن النفس غياهب الجهل، وتعلمها كل فضيلة، وتدنيها من أبواب السماء. المعرفة عدوه الظلمة وصديقة النور، عدوة التوحش وصديقة التمدن، عدوة الضلال وصديقة الحقيقة، عدوة الرذيلة وصديقة الفضيلة.. هذه هى المعرفة التى نعنيها»(٥٣)

.. ويدافع فرح عن حقوق المرأة وحريتها.. وينشر على صفحات الجامعة تلخيصا وافيا لكتاب، «المرآة الجديدة» لقاسم أمين معلنا تأييده للكتاب ولمافيه من أفكار.(٥٤)

ويعرف فرح أى طريق يقترب منه، ويعرف أنه طريق صعب ومليىء بالشوك، ويعرف أن

الدفاع عن الاشتراكية يتطلب تضحيات.. ويقول «ليست كل نظرية جميلة يود الناس أن ينفذوها، ولهذا فقبل تحبيب الجمهور فى المبادىء الديمقراطية والاشتراكية يجب الاستعداد للجهاد فى مقاومة الاستبداد والاستعباد وتأييد الحرب بالقوة»(٥٥) .. نعم بالقوة.

ولابأس من ذلك فان فرح يعتقد «أن فى كل قوم أو شعب أو أمه أفرادا مخلوقين لكى يضحوا بمصالحهم الشخصية وبملذاتهم النفسانية، وأخيرا بحياتهم لاجل مصلحة شعبهم.. والأمة تكون قوية أو ضعفية بقدر مافيها من هؤلاء الذين خلقوا ولالذة لهم الا هذه اللذة، لذة تضحية الفرد لاجل الجماعة»(٥٦)

ولهذا فان فرحا يشمر ساعدية ليبدأ هجوما شديدا على الأغنياء.

«تراهم يركضون، ويجدون، ويجمعون المال أكداسا الى أكداس فتخالهم صاعدين مرتقين والحقيقة انهم مازالوا يدورون ضمن تلك الدائرة، ويزيدهم الغنى انحطاطا»

ويتحدث عن الغنى فيقول «ماقولك فى رجل بليد جاهل لايعرف من الدنيا شيئا غير جمع المال بالطرق المحللة والمحرمة، وهمه فى غش الناس للربح منهم، جسمه كجسم الثور غلاظة وضخامة، وعقلة كعقل عصفور، وكل أفكاره متجهه الى جهة واحدة هى التغلب على غيره بكل الطرق، فعنده الغش والاحتيال والسرقة وتعمد ضرر الغير وخرق حرمة كل نظام وكل شريعة بطرق يعرفها ويعرف أنها لاتوقعه تحت طائلة الشريعة، والاستئثار بكل شىء والاستخفاف بكل شىء فى الأرض والسماء، اذ لاقيمة لشىء عنده غير المال»(٥٧)

وهو يعلق على ديوان لمصطفى صادق الرافعى ويتوقف أمام أبيات تقول:

أرى الانسان يطغى حين يغنى
وما أدنى الهبوط من الصعود
اليس من التغابن وهو ظلم
جزاء السعى يكتب للقعود

ويعلق على البيت الأخير قائلا «هذا البيت الأخير يعدل وحده ديوانا كاملا، فانه عبارة عن خلاصة الانتقاد الذى يوجهه بعض العلماء والفلاسفة الى أغنيائهم الذين يتنعمون وهم قعود فى مجالسهم دون عمل يعملونه بتعب عشرات ومئات وألوف من البشر المستخدمين عندهم»(٥٨)

.. أما كيف نقاوم ذلك، فان فرح واضح أيضا أن جمعيات العملة فى الزراعة والتجارة والصناعة هى التى تسوق اليوم السياسة والساسة فى سبيل الارتقاء بقضيب من حديد»(٥٩)

آفات التمدن الرأسمالى

ومنذ وقت مبكر يكتشف فرح أنطون آفات المجتمع الرأسمالى «للتمدن الحالى آفات، كما أن له حسنات، ومن هذه الآفات تمكن بعض البشر من دوس القانون استنادا الى القانون وقتل حقوق الانسان استنادا الى مبدأ حقوق الانسان. ومن هذا القبيل حالات الغنى الطائلة فى أمريكا.. ان الغنى الطائل يوشك أن يكون خطرا داهما على الهيئة الاجتماعية. أنه خطر الاحتكار، فانه قد

نشأت فى تلك البلاد صناعة جديدة مدارها تأليف شركات احتكار البضائع والسلع ومواد المعيشة، فشركة تحتكر الفولاذ، وواحدة تحتكر السكر وأخرى تحتكر البن.. وهذا الاحتكار لايستوجب اذنا من الحكومة ولارضى من أرباب الصناعة ولاموافقة من الأهالى بل يتم بالرغم عنهم جميعا. أن مايربحه الاغنياء فى البورصة من الأرباح الفاحشة بلا تعب ولانصب مبنى أكثره على غش الناس وخداعهم ليضاعفوا ثروتهم الطائلة بحركات مالية تستنزف أموال الأمة» ويختتم فرح مقاله مشبها الرأسماليين بدود العلق الذى يمتص دماء البشر «ومن الغريب أنه مامن أحد يجهل ماانطوت عليه هذه العلق الهائلة التى تمتص دماء الشعوب وحياتهم هؤلاء الذين يدعون الشرف والاستقامة لكونهم لايخالفون نص القانون»(٦٠)

ولم يكن من السهل أن تمر كلمات كهذه دون هجوم.. فبعد أن نشر فرح أنطون روايته «أورشليم الجديدة» هاجمته المقتطف هجوما شديدا.. ولم تكن المقتطف وحدها «فقد علق الكاتب الفاضل الشيخ سليم خطار الدحداح فى جريدة المصباح البيرونية تعليقا انتقد فيه الرواية وقال أن مبدأ مجلة الجامعة هو مبدأ الكومينزم» أى الشيوعية)»

لكن فرحا ليس من النوع الذى يتراجع أمام هجوم زادت حدته، بل لعله واحد من هذا النوع من الناس الذى تزداد صلابته كلما ازداد تعرضه للهجوم فيرد ردا عاصفا «تولستوى وفولتير.. هؤلاء الأعاظم مع كونهم من الطبقة العالية، ومن أهل المال كان دأبهم أن يحاربوا بكل قواهم ذلك الفساد الاجتماعى والسياسى المبنى على سلطان المال الذى يسمم دم الأمة لأنه يقتل العدالة فيه، ويجعل القانون العوبة فى يد المال يميل معه حيثما مال ويحصر السلطة والمنافع والأملاك والارزاق فى أفراد قلائل، ويكون باقى الامة اجراء مسخرين لهم يتعبون ويكدحون وغيرهم يتمتع بثمرة تعبهم دون أن يهتم أو يغتم لحالة الأمة والعملة (العمال)الذين يجمع ثروته منهم»

ولعل فرح أراد أن يلوح لمنتقديه أنه ليس وحده فى الميدان فيقول: «ويظهر أن هذا الداء (الاستغلال الرأسمالى) قد بدأ ينتشر فى الشرق انتشاره فى الغرب، فقد قرأنا منذ مدة عدة فصول فى الجرائد العربية فيها بروق ورعود على سلطان المال فى الشرق، منها مقاله فى جريدة «الصاعقة» المصرية هى فى الحقيقة صاعقة لم نقرأ قط مقاله بليغه بموضوع كموضوعها، وأخرى فى رصيفة فى البرازيل..»

بل هو ينذر خصومه بأن الصراع سيشتد بين الاشتراكية والرأسمالية.. «ويظهر لنا مما نقرأه أن هذه الحركة آخذة فى الامتداد والانتشار. ونحن نأسف لها لأنها ستكون فى مستقبل قريب أو بعيد سبب نزاع شديد بين الشرقيين كما هى بين الغربيين ولكن للاسف لايوقف مجرى النواميس الطبيعية. ومتى جاء ذلك الزمن وصار معلوما فى الشرق إن هدم الفساد الاجتماعى مقدم على هدم الفساد السياسى لأنه بدون الفساد الاجتماعى يستحيل وجود الفساد السياسى، وستذهب دولة الاستفراد العصرى (الملكية الفردية) الذى أروج ماتكون بضاعته فى صفحات رصيفتنا المقتطف، ودولة الاحتكار المالى الذى يقيم له المقتطف فى صفحاته صورا وتماثيل تمجد أولئك الأمريكيين الطغاة الذين يحتكرون أرزاق الأمم ويعيشون فيها كالعلق يمتصون دمها ولاينفعونها» ثم «وتقوم دولة التعاون الاجتماعى والتضامن البشرى بين جميع طبقات

الأمة»(٦١) (التشديد من عندنا).

.. هل أذكركم أننا فى عام ١٩٠٣ ولم نزل..

وفى ذات العام استخدم فرح أنطون أقوى طلقاته ضد المجتمع الرأسمالى فأصدر روايته الشهيرة والبديعة فى آن واحد «الدين والعلم والمال».

وفى هذه الرواية أقام فرح أنطون ثلاث مدن احداها يسودها الدين والأخرى يسودها العلم والثالثة يسودها المال، ثم أقام حوارا وصراعا بين ممثلى القوى الاجتماعية فى هذه المدن ليبرز فيه حقائق الصراع الطبقى بين العمال ورأس المال..

ونعتقد أن هذه الرواية تمثل أول اطلالة ماركسية شبه متكاملة على الفكر المصرى. ويسجل فرح فى البداية أنه لايكتب رواية بالمعنى المفهوم «سميناه رواية على سبيل التساهل لأنه عبارة عن بحث فلسفى اجتماعى فى علاقة المال والعلم والدين وهو مايسمونه فى أوربا بالمسألة الاجتماعية، وهى عندهم فى المنزلة الأولى من الأهمية لأن مدينتهم متوقفة عليها»(٦٢)

وبطل الرواية شاب اسمه حليم اتى من أقاصى البلاد ليشاهد المدن الثلاث. لكن حليما ليس شخصا عاديا فقد «كان وهو فى المدرسة قد لمح فى ذهنه عصرا يسميه مؤرخو اليونان العصر الذهبى ويسميه كتاب المسيحية الفردوس الأرضى فبقى منه فى فكره أثر»

وفى الرواية يجلس رئيس الاجتماع.. رئيس جمهورية المدن الثلاث ليعلن افتتاح الجلسة معلنا «اما الآن فاننا نسمع الشكاوى التى اجتمعنا للنظر فيها بصدق وحسن نية..»

«فنهض زعيم العمله وقال: ان شكوى العمال من طمع أرباب الأموال. فالعمال يتعبون ويجدون وأرباب الأموال يتمتعون ويتلذذون، فمن العدل ان يشارك أولئك هؤلاء فى كل شىء..

فنهض النائب عن أرباب الأموال: أن شكوى أرباب الأموال لم تكن من العملة أنفسهم فاننا نحب عمالنا كما نحب أولادنا، كيف لاوهم رفقاؤنا وشركاؤنا فى أعمالنا، وانما شكوانا من بعض الطامعين الذين يثيرون خواطرهم ويحرضون طبقتهم فلتفصل الحكومة العمال عن هؤلاء المحرضين فيستتب السلام بين الجميع.

فنهض رجل من فريق العلم وقال: اذا صح أنه متى رفعت يد الذين يسمونهم محرضين بين العمال فقد زال نصف شكوى أهل المال، وانما يبقى عليهم فى هذا الموضوع أن يبحثوا هل يرافق السلام الذى يحصل حينئذ هناء العمال وراحتهم وسعادتهم، أم يبقى سلامهم موتا أدبيا ومادياً كسلام أهل القبور. واننا معشر أهل العلم نفتخر فى هذا العصر بأننا قد حللنا فى هذه المسألة كل أهل الاديان وصار همنا الأول التفكير بانهاض الشعوب وترقيتها بينما نرى أهل الأديان يسلمون الشعوب بأيديهم الى الأطماع المختلفة فكان فعلهم مثل ملوك يخلعون أنفسهم بأنفسهم ولذلك نراهم يكثرون من التنزلف للاغنياء وأرباب الأموال، ويجارونهم فى كل شىء حتى فيما يخالف مبادئهم الدينية.. ويلهون الشعب فى أثناء ذلك بالتدجيل عليه ليشغلوه بالأوهام والأحلام عن مصالحه الحقيقية»(٦٣)

الشعب المهذب يخون الشعب المسكين

ثم يبدأ فرح أنطون فى كشف النقاب عن حقيقة الاستغلال فى المجتمع الرأسمالى.. فالجلسة الأولى كانت للاستماع الى الشكاوى أما الثانية فكانت للمرافعات.

«وكان أول المتكلمين زعيما من زعماء حزب العمال فقال: لقد احسنتم فى تخصيصكم الجلسة الأولى لمشاكل العمال وأصحاب الأعمال لأن هذه أكبر المشاكل.. ومتى حللناها حللنا معها سواها. ولكن لاسبيل الى حلها الا باشراك العمال فى ربح الأعمال. فاننا الآن نخدم أصحاب الأعمال نخدم كما يخدم العبد سيده. وأسعدنا حظا وأعظمنا قدرا يتناول فى الشهر مائة فرنك أى يأخذ فى السنة أجره ١٢٠٠ فرنك فاذا افترضنا أن عددنا فى العمل ٣٠ عاملا كان مجموع ربحنا جميعا فى العام ٣٦ ألف فرنك على حين أن العمل يربح فى كل عام مليون فرنك ربحا مجردا، وكل هذه القيمة تذهب وتنصب فى صندوق صاحب المعمل مع أننا نحن السبب فى ربحها.. ولنترك مسألة الربح جانبا ولننظر الى مسألة أخرى، وهى أن العمال والمستخدمين قوم لايتناولون فى اليوم أكثر من فرنك واحد أجرة لهم فكيف يمكن أن يكفيهم هذا الفرنك خصوصا اذا كان لهم أولاد عليهم القيام بأودهم..

لذلك نطلب منكم نحن العمال باسم الانسانية والاخاء البشرى أن تنصفونا فنحن الأكثرية فى البلاد وبدوننا لاتقدرون أن تصنعوا شيئا، فحرام أن نصنع كل شىء، وعلى ظهورنا تلقى كل الأحمال، ثم تترك الحكومة فريقا قليلا من أصحاب الأموال يحتكر منافع البلاد وفوائدها وخيراتها ويسخر لنفسه الأمه كلها.»

ويؤكد الكثير من الباحثين أن هذه الكلمات تطل منها.. ملامح قراءة متأنية لكتاب «رأس المال» بالتحديد، وفرح أنطون لايخفى ذلك فعندما يرد أصحاب رأس المال مدعين أنهم يتمسكون بمذهب الحرية ويردد آراء عديد من الفلاسفة يؤيدون «حرية» الاستغلال الرأسمالى.. يرد ممثل حزب العمال قائلا «اذا كان فى حزبكم فلاسفة كبار وعلماء أعلام، ففى حزبنا من هم فوق العلماء والفلاسفة.. أنه كارل ماركس»

ويجرى النقاش طويلا.. يقف العمال والعلماء فى جانب ويقف رجال الدين رجال المال فى جانب آخر.. ولكن فرح أنطون لم يكن بسيطا الى هذه الدرجة فهو يعرف الفارق بين العلماء والعمال.. بين الثورة الحقة والاعتدال، بين الماركسية واشتراكية الدولية الثانية، بين العمال وفكر مثقفى البرجوازية الصغيرة، فالعلماء يحاولون التوصل الى حل وسط ويكتفون بزيادة الأجور وفرض ضريبة الايراد ويعدون قانونا بذلك لكن العمال يرفضون ولايقبلون الا «الدولة الاشتراكية» ويستيقظ الناس صباح اليوم التالى للجلسة ليجدوا على الجدران فى كل مكان شعارات حمراء ضخمة تقول «الشعب المهذب يخون الشعب المسكين»

ثم يوجه فرح أنطون خطابه الى الكادحين قائلا:

«أيها العمال المستخدمون.

لقد خدعوكم وضحكوا عليكم، فلا تصدقوهم، ولاترضوا باقتراحاتهم، اذ لاغرض لهم من هذه الاقتراحات سوى ارجاعكم الى العبودية بالاجرة وانتم لاتطلبون الضريبة على الايراد ولازيادة رواتبكم بل تطلبون مشاركة أصحاب الأعمال فى أعمالهم. فاذا رفضوا هذا الطلب فان حقوقكم هى الاستيلاء على المعامل والمزارع والمتاجر والمصانع لأنها ملك لكم بحكم الطبع وهو خير من حكم الشرع. فاستولوا عليها ولاتخافوا. (التشديد من عندنا)

أيها الاخوة: هل تعرفون الذين خانوكم. خانكم أولئك الذين يسمون أنفسهم علماء ومعتدلين، ومادروا أن الاعتدال لايحصل حقا ضائعا.. أيها الأخوة: نحن فى غنى عن الجميع، واعتمادنا على أنفسنا طريقنا فلنجتمع اليوم على أبواب المصانع والمزارع والمتاجر لنناقش أصحابها الحساب، ونريهم قوتنا، ونبلغهم نهائيا أننا نطلب الموت أو مشاركتهم فى أرباح أعمالهم»(٦٤)

وتنفجر الثورة ويتجمع العمال صائحين «الاشتراكية أو الموت» «تحيا الاشتراكية» لكن جنود الجيش كانوا يحرسون المصانع فصاح العمال: أيها الجنود، نحن وأنتم اخوان لأننا من أبناء الشعب فلا تسيئوا الينا وصدرت الاوامر للجنود بالجهوم.. لكن خمسين جنديا ينضمون الى العمال.. أما البقية فكان النظام العسكرى متأصلا فى نفوسهم فساورا كالعميان الى حيث يقودهم رؤساؤهم، فتمكن الجند فى ذلك النهار من تفريق العمال»

.. ويقع فرح أنطون فى المأزق الدرامى، فكيف ينهى روايته، هل ينهيها بانتصار الاشتراكية، هكذا ببساطة ومن أضراب عمالى واحد فى عام ١٩٠٢، أم ينهيها بهزيمة العمال فيحبط الثمار التى أراد لها أن تزهر..

.. هكذا قرر فرح أن يهدم الحلم، وأن يطوى الصفحة دون نهاية أو خاتمة للصراع موحيا بأن الصراع لايزال وسيظل مفتوحا.. وهكذا استيقظ حليم من نومه ليجد المدن الثلاث وقد أصابتها صواعق وزلازل. وانتهت الرواية.

ولعلنا ندرك الأثر الذى تركته رواية كهذه.. لقد أثارت تأييدا وحماسا وهجوما وانتقادا..

ويعلق عليها مصطفى صادق الرافعى بقصيدة رائعة يتوعد فيها النظام الرأسمالى بثورة يقوم بها الفقراء..

يظن الأغنياء الفقر ضعفا .. وكم من حية تحت الخراب
ولايخشون من جاعوا لديهم .. وليس أضر من جوع الذئاب (٦٥)

ولايتوقف فرح عن معركته فعندما أضرب لفافو السجاير يساندهم فرح بشدة، بل هو يطلب فتوى من الامام محمد عبده بشأن مدى التزام الدولة بضرورة التداخل فى المنازعات بين العمال وأصحاب الأعمال، ويرد الشيخ محمد عبده بفتوى بالغة الأهمية والدلالة تدين أسلوب الاستغلال الرأسمالى ادانة صريحة»(٦٦)

وعندما اشتعلت ثورة أكتوبر فى روسيا ١٩١٧، كان فرح أنطون معها ودافع عنها دفاعا صريحا وصادقا.. ويؤكد صديقه الحميم وزميل نضاله نقولا حداد «لقد اطلع فرح على مؤلفات ومقالات وأخبار عديدة تنفى معظم ماشنعه خصوم البلشفية عليها، وكان يؤكد أن الحركة البلشفية كتجربة اذا فشلت أضرت الحركة الاشتراكية أمدا مديدا»(٦٧)

وعلى صفحات الأهالى تتوالى مقالات وأخبار تؤيد ثورة أكتوبر تأييدا حاسما..

.. «جاء من لندن أن مؤتمر الاشتراكيين الفرنسى فى تور قرر الانضمام الى المؤتمر الشعوبى الثالث (الكومنترن) ويعد هذا العمل كحلقة من سلسلة التطور الاشتراكى فى الغرب، كما أنه يعد فوزا هاما لنظرية اشتراكيى موسكو»(٦٧)

.. «انه لمن أوجب الواجبات على المدنية الغربية جميعها أن لاتترك عهدا تاريخيا ذا صحيفة استثنائية وعلى جانب عظيم من الخطورة دون أن تكون على علم تام بعناصره.. أنه لاجرام عظيم ذلك العجز المخجل الذى ظهرت به أوربا الغربية جميعها عن تفهم حقيقة المثل الروسى الأعلى.. وتظن أننا لانخرج عن دائرة الحقيقة اذا قلنا أن قوة الدفع التى شهدت مظاهرها فى روسيا السوفييتية لم تكن لتقوى على اخراجها نظم آلية فحسب بل من المحقق أن هاتيك النظم كانت تدمر تحت القوة الضاغطة بقليل من العناء لولم تكن مرتكنة على عامل روحى ثائر»(٦٩)

وتقف الأهالى دوما مع روسيا السوفيتية.. فتدين الصحف الغربية التى تشن حملات من الأكاذيب ضد السوفييت. وتقول: أن صحافة الغرب ذات شهرة طائرة فى تحريف الأخبار بل واختلاقها، وتدين الأهالى**الهجوم** البولندى على روسيا السوفيتية وتوالى نشر الاحتجاجات ضد هذا العدوان..

.. وتتوقف الكلمات.. فالقلب الثائر يتوقف.

هـ - مراث :

ولقد يكون غريبا أن رجلا كفرح.. حادا فى كلماته، شديدا فى خصومته، واضحا فى انتمائه يحظى عند وفاته بكل هذه المراثى، التى عندما جمعت شغلت كتابا كاملا..

ولقد طالعنا مرثية الاشمندريت ايصائيا عبود عن دير مار جرجس الحصن.. وطالعنا فقرات من مراثى عديد من الكتاب والصحفيين.. ويبقى أمامنا أن نقدم بعض النماذج..

«السيدة الفاضلة روز أنطون

أرجو أن تتقبلى خالص عزائى فى وفاة الفقيد شقيقك ولقد كانت خسارتنا فيه فادحة»

سعدزغلول رئيس الوفد المصرى

«لقد رأيت فرحا مرارا، ولكنى لم أكلمه الا مرتين أو ثلاثا... فسمعت من نبرة صوته ومارأيت من خشوع نظرته، وأحسست موضع دائه، فقلت له مواسيا «انك يافرح أفندى طليعة مبكرة من طلائع هذه النهضة العامة

وسيعرف لك المستقبل من عملك مالم يعرفه الحاضر، وستكون حين يفترق الطريقان خيرا مما كنت فى هذا الملتقى المضطرب.. فأومأ برأسه ايماءة شاكرة، وحرك يده حركة فاترة وقال: إنه ياأخى تيار جارف فماذا يحفل المستقبل بالحاضر، وماذا يبالى السائر للغد بمن كان قبله فى مفترق الطرق»

عباس محمود العقاد

« ان الفراغ الذى أحدثته وفاة فرح أنطون فى الأدب العربى لن يملأه أحد فى أيامنا الهوجاء هذه.. وأنى لأذكر الساعات اللذيذة التى قضيتها أطالع مجلدات مجلته الجامعه، وقد تركت اذ ذاك فى نفسى أثرا شبيها بذلك الأثر الذى يتركه دين جديد فى قلب حديث الايمان، فكانت تعتلج فى صدرى لواعج واحساسات غامضة وتنفتح أمامى أبواب تترك فى نفسى شيئا يشبه مقام الكشف عند الصوفيه»

سلامه موسى

* على «فرح» فلحزن الشرق حزنه

فما هو فرد انما هو جيل
لقد كان طودا للحقيقة راسخا
تميل رواسيها وليس يميل
فتى كان صدقا فى فم الدهر بيننا
وجل البرايا كذبة وفضول
فتى كان لايرضى الحياة حقيرة
فعاش ليفنى والجليل جليل
فيا لأسيفى كم يقتل العقل نابغا
وكم عاش بالجهل الهنى جهول
ليالى النسيم المقمرات قصيرة
وليل الشتاء المقشعر طويل

مصطفى صادق الرافعى

ج- خاتمة:

وهل من خاتمه أفضل من هذا البيت:

ليالى النسيم المقمرات قصيرة وليل الشتاء المقشعر طويل

لكن فرحا قدأكد لنا أن الليل زائل.. زائل.. وأن ليالى النسيم المقمرات آتية.

هوامش:

١ - فرح أنطون- حياته وتآبينه ومختاراته- ملحق بالسنة الرابعة من مجلة السيدات والرجال- سبتمبر ١٩٢٣- مطبعة يوسف كوى بمصر - ص ١٠

٢ - مناهل الأدب العربى- فرح أنطون مكتبة صادر - بيروت(١٩٥٠)-ص٣

٣- نقولا الحداد-مقال- ملحق مجلة السيدات والرجال- المرجع السابق- ص ١٠

٤ - مارون عبود- جدد وقدماء - دار الثقافة - بيروت (١٩٥٤)- ص ٢٥

٥ - أحمد أبو الخضر منسى- فرح أنطون - مطبعة الاعتماد (١٩٢٣) ص ٢٠

٦ - محمود أبراهيم (صاحب مجلة الاكسبريس) - مقال بملحق السيدات والرجال- المرجع السابق - ص ٢٨

٧ - لطفى جمعه- مقال بملحق مجلة السيدات والرجال- المرجع السابق - ص ٢٠

٨- المرجع السابق - ص ٢٢

٩ - أحمد أبو الخضر منسى- المرجع السابق- ص ٣٤

١٠ - المرجع السابق - ص ٢٩

١١ - نقولا حداد - مقال ملحق بمجلة السيدات والرجال- المرجع السابق- ص ١٣٢

١٢ - الأهالى ١٩٢١/١/١٤

١٣ - الأهالى - ١٠، ١١، ١٢، ١٣، ١٤-١/١٩٢١

١٤- الأهالى١٩٢١/١/١٤

١٥ - الأهالى ١٩٢١/١/٢٥

١٦ - لمزيد من التفاصيل عن دور الجمعية المصرية بباريس ودور اليسار فيها راجع :د. رفعت السعيد تاريخ الحركة الشيوعية المجلد الأول- أيضا د. رفعت السعيد- عصام الدين حفنى ناصف- دار الثقافة الجديدة- القاهرة

١٧ - الأهالى ١٩٢١/١/٢٦

١٨ - الأهالى ١٩٢١/١/٢٧

١٩ - لمزيد من التفاصيل راجع: د. رفعت السعيد- نقولا حداد- دار الثقافة الجديدة(١٩٧٢)- ص٥٩

٢٠ - نقولا حداد - بحث تحليلى- ملحق مجلة السيدات والرجال- المرجع السابق- ص١٣٦

٢١ - أحمد أبو الخضر منسى- المرجع السابق- ص ٣٧

٢٢- مارون عبود- المرجع السابق- ص ٢٠

٢٣ عباس محمود العقاد- مطالعات فى الكتب والحياة- ص ٦٩

٢٤ - سلسلة مناهل الأدب العربى - فرح أنطون- مكتبة صادر- المرجع السابق - ص٧

٢٥ - مارون عبود- المرجع السابق- ص٧
٢٦ - لطفى جمعه- خطاب التأبين- المرجع السابق - ص ٢٤
٢٧ - محمود ابراهيم - مقال - ملحق مجلة السيدات والرجال- المرجع السابق- ص ٢٨
٢٨ - مارون عبود - المرجع السابق - ص ٢٤
٢٩ - مارون عبود - المرجع السابق - ص ٣١
٣٠ - فرح أنطون - مقال - الروايات ونفعها لنا. نقلا عن مناهل الأدب العربى- المرجع السابق- ص ٦٨
٣١ - الجامعة - السنة الرابعة (١٩٠٣) - الجزء ٦، ٧، ٨- ص ٣٠٢
٣٢ - فرح أنطون - مقال: الروايات ونفعها لنا- المرجع السابق
33 -G. AHMED - THE INTELLECTUAI ORIGINS OF EGYPTION NATIONALISM. (OXFORD) 1960 - P 41
٣٤ - كامل عسلى- الاتجاهات التقدمية فى الفكر العربى الحديث- رسالة دكتوراة، غير منشورة - ص ٢٦٣
٣٥ - البلاغ - ٥مارس ١٩٢٤-مقال لعباس العقاد
٣٦ - كتاب مفتوح الى عطوفتلو - رشيدبك والى بيروت قبلا ووالى بورصه الآن- مجلة الجامعة- السنة الرابعة (١٩٠٣) الجزء ٦، ٧، ٨، المرجع السابق - ص ٣٣٦
٣٧ - راجع النص الكامل فى: مجلة الجامعة- السنة الرابعة (١٩٠٣) العدد ٦، ٧، ٨، المرجع السابق ص ٣٠٦ ومابعدها
٣٨ - فرح أنطون - أورشليم الجديدة أو فتح العرب بيت المقدس، والرجل المريض والاسرائيلية الجميلة فيها - الاسكندرية فبراير ١٩٠٤ ص ٢.
٣٩ - الجامعة- السنة الرابعة (١٩٠٣) المرجع السابق - ص ٣٠٤
٤٠ - مناهل الادب العربى- المرجع السابق - ص ٣٥.
٤١ - كتاب مفتوح الى عطوفتلو رشيد بك - المرجع السابق ص ٣٣٥
٤٢ - مناهل الأدب العربى - المرجع السابق - ص٦٩
٤٣ - المرجع السابق - ص ٩٢
٤٤ - مارون عبود - المرجع السابق ص ٢٩
٤٥ - المرجع السابق - ص ٣
٤٦ - ملحق مجلة السيدات والرجال.
٤٧ - لطفى جمعة - خطابه فى حفل التأبين - المرجع السابق - ص ٢٢
٤٨ - مناهل الادب العربى- المرجع السابق ص ٤٢
٤٩ - الجامعة - السنة الاولى- الجزء العشرون ١-١-١٩٠٠ مقال القرن العشرون وماذا عمل القرن التاسع عشر ص ٤٥٧
٥٠ - الجامعة - السنة الأولى - الجزء السابع عشر ١٥-١١-١٨٩٩ - ص ٣٨٢

٥١ - الجامعة - السنة الرابعة - الجزء الرابع - يونيو ١٩٠٣ - مقال : الكاتب الشرقى وحاجاته- ص ٢٣٠

٥٢ - الجامعة - السنة الثالثة - الجزء الرابع - نوفمبر ١٩٠١ - ص ٢٥٠

٥٣ - مناهل الادب العربى - المرجع السابق ص ٣٥

٥٤ - الجامعة - السنة الثانية - الجزء العاشر - ص ٦٢٦

٥٥ - ملحق مجلة السيدات والرجال - المرجع السابق ص ١٣١

٥٦ - المرجع السابق - ص ٩٩

٥٧ - لمزيد من التفاصيل راجع: د. رفعت السعيد - ثلاثة لبنانيين فى القاهرة - دار الطليعة بيروت (١٩٧٣)

٥٨ - الجامعة - السنة الرابعة، العدد ١٠٢٩ - ص ٣٧٤

٥٩ - مناهل الادب العربى - المرجع السابق - ص ٦١

٦٠ - الجامعة - السنة الثانية - الجزء ٢٢، ٢٣، ٢٤- ابريل ١٩٠١ - ص ٧١١

٦١ - الجامعة - السنة الرابعة (١٩٠٣) - العدد ١٠٢٩- مقال أورشليم الجديدة (آراء الرصفاء- ص ٣٧٣

٦٢ - فرح انطون - الدين والعلم والمال- المدن الثلاث- الاسكندرية - ١يوليو ١٩٠٣ - المقدمه.

٦٣ - المرجع السابق ص ١٤

٦٤ - المرجع السابق - ص ٤٣

٦٥ - الجامعة - السنة الرابعة - الجزء الخامس أغسطس ١٩٠٣ - ص ٢٩٧

٦٦ - محمد عمارة - الأعمال الكاملة للامام محمد عبده - الجزء الأول - المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت - ص ٦٧٣

٦٧ - نقولا حداد - ترجمة حياة فرح أنطون - ملحق السيدات والرجال - المرجع السابق - ص ١٤

٦٨ - الأهالى - ٣ - ١ - ١٩٢١

٦٩ - الأهالى ١٥ - ٢ - ١٩٢١